الباب الأول

كيف نقرأ؟

HOW WE READ?

- كيف نشأت مادة الإنجليزية؟
- دراسة الإنجليزية اليوم
- الإنجليزية والإجابة "الصحيحة"
- الاتجاهات النقدية

الفصل الأول

كيف نشأت مادة الإنجليزية؟

Where did English Come From?

- كيف تصاغ المادة الدراسية؟
- كيف ولماذا نشأت الإنجليزية؟
- كيف نشأت الإنجليزية الحديثة؟

لكي نفهم السبب وراء ما وصلت إليه الإنجليزية المعاصرة، علينا أن نفهم أولاً من أين نشأت، فكل مادة ندرسها تتأثر بتاريخها على الرغم من أن وصف اختراع ما مثل آلة كالطائرة يعد أمراً مباشراً وسهلاً، إلا أن وصف اختراع مادة دراسية أمراً أكثر صعوبةً لأن الإنجليزية ليست أمراً سهلاً مباشراً ولكنها لغة، و اللغة أفكار وأفكار. وتطور أي فكرة لابد أن يكون شديد الصلة بأفكار أخرى وأحداث تاريخية وحركات وكذلك بالطريقة التي رأى بها الناس العالم في فترة زمنية ما.

دائرة المعارف الصينية

The 'Chinese Encyclopedia'

إن المواد الدراسية – أو "الدراسات المنظمة" لنكن أكثر رسمية وتحديد– تشبه إلى حد كبير الخزانة المقسمة إلى مربعات متساوية لتصنيف الأوراق pigeonhole

حيث ينتظم فيها كل شيء في العالم بدقة، فعندما نرى كلباً ضالاً على سبيل المثال فإننا نعلم أن الدراسة المعنية بالحيوانات هي علم الحيوان zology، وعندما ننظر للتل نعرف أن علم الجغرافيا هو الذي يدرس التلال. فإذا تخيلنا انتظام كل تلك الدراسات معاً في دائرة معارف ضخمة، لوجدنا لكل شيء في العالم مكان في تلك الموسوعة يفسره.

عليك الآن أن تفكر في الموسوعة الصينية التخيلية التالية التي قدمها الكاتب الأرجنتيني جورج لويس بورجس Jorge Luis Borges (١٨٩٩–١٩٨٦م) والتي تنقسم الحيوانات فيها إلى الأصناف التالية:

١- حيوانات يملكها الإمبراطور

٢- حيوانات محنطة

٣- حيوانات أليفة

٤- خنازير رضيعة

٥- حيوانات ذات الصفير

٦- حيوانات رائعة

٧- كلاب ضالة

٨- حيوانات تدخل ضمن التصنيف الحالي

٩- حيوانات هائجة

١٠- حيوانات لا حصر لها

١١- حيوانات تجر بحبال من شعر النوق

١٢- حيوانات غيرها

١٣- حيوانات كسرت لتوها إناء الماء

١٤- حيوانات تبدو كالذباب من بعيد.

يا لها من قائمة تثير الضحك! لكن تلك القائمة تقدم، و كما هو الحال في معظم النكات الجيدة، أسئلة صعبة قد تُذهِبُ ذلك الشعور الساخر من نفوسنا عندما نفكر فيها ملياً. فمثلاً: لماذا نعدها مثيرة للضحك؟ ألأنها تبدو عشوائية؟ إنها تقدم بالطبع شكلاً من تصنيفات الحيوانات مختلفاً عن تلك التصنيفات الموجودة بدوائر المعارف المألوفة في مكتباتنا. علاوة على ذلك، فهي لا تقوم على أي أساس تصنيفي، فلو أن لكل عنصر في القائمة علم متخصص، فماذا يا ترى سيكون مسمى تلك الدراسات؟ علم "الحيوانات الذي يبدو كالذباب من بعيد"؟ أم علم "الكلاب الضالة"؟ إن الأمر يبدو هراء لأن دوائر المعارف التي اعتدنا عليها لها نظام محدد لاختيار موادها المدرجة وكذلك العلوم المتعلقة بها مما يجعلها أكثر عقلانيةً ومنهجيةً. لكن هل نثق بأشياء كثيرة في حياتنا؟ من الذي يضمن أن كل قواعدنا ومعاييرنا صائبه؟ هب أنك درست العالم من خلال تلك "الموسوعة الصينية" الخيالية، فإن "علم الكلاب الضالة" سيكون علماً مقبولاً كما هو الحال بالنسبة "لعلم الحيوان" المعروف لنا، لكن ذلك النظام 'العبثي' يجعلنا ندرك أن علومنا على ما تبدو عليه من منطقية وسلاسة ليست إلا جهد بشري اصطنعناه لنقسم به العالم الذي نعيش فيه و لم يقدمه لنا العالم في شكل مسلمات لا يختلف عليها اثنان.

وكذلك الحال بالنسبة لمواد الدراسة فهي ليست من صنع الطبيعة وإنما نحن الذين اخترعناها عن طريق تقسيم المعرفة بطريقة تتفق ونظرتنا للعالم. يوحي كل ذلك بأن فروع الدراسة ليست مجرد أساليب لدراسة الأشياء الموجودة بالفعل بل أن التقسيمات التي نثق بها والعلوم التي ندرسها - بما فيها الإنجليزية وآدابها - قد

"صاغها أناس وفق نظرهم للعالم". لقد نشأت الإنجليزية وآدابها كمواد دراسية بناء على قرارات واتجاهات عامة وحركات تاريخية. والدليل على ذلك أن طريقة دراستنا للإنجليزية الآن تبدو شديدة الغرابة لشخص عاش في أوائل القرن التاسع عشر.

لذلك آثرتُ أن أدرس تلك القراءات والاتجاهات والحركات التاريخية التي لم يتطرق لها أحد والتي شكلت دراسة الإنجليزية لمَّا رأيت أن دراسة تاريخ الإنجليزية يوفر مدخلاً للمادة العلمية بها، كما أنه يلقي الضوء على نظرة البشر المتغيرة للعالم.

تاريخ الإنجليزية
The History of English

ترجع نشأت كثير من العلوم إلى سنوات مضت، فيشير بعض العلماء أن المصريين قد مارسوا ما يمكن أن نسميه علماً منذ ألفي عام وأن الفيلسوف والعالم الإنجليزي فرانسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١-١٦٢٦م) هو الذي صاغ مبادئ البحث العلمي الأساسية (التجربة والملاحظة والاستنتاج) منذ حوالي أربعمائة عام ويمكن أيضاً القول بأن الفلسفة قد باتت علماً يدرس منذ أكثر من مائة وخمسين عاماً. وبالمقارنة يتضح أن الإنجليزية كمادة تدرس وكما نعرفها اليوم هي فرع حديث جداً، حيث بدأت في الظهور في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر ولم تؤسس كمادة دراسية إلا بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨م).

لا يعني ذلك أن الناس لم يتعهدوا الكتب بالنقد والتحليل، لكن كتاباتهم لم تلق أهمية كدراسة جادة أو كجزء من مقرر دراسي. فمثلاً لم يكن هناك مادة

تتناول مناقشات النقاد حول أعمال شكسبير أو عن رسائلهم حول ما قرأوه. ببساطة لم يكن هناك دراسة للأدب المكتوب بالإنجليزية، بل والأكثر من ذلك أنهم لم يناقشوا حتى مفهوم "الأدب"، فحتى وقت قريب تضمن هذا المصطلح ما نسميه التاريخ و الجغرافيا و اللسانيات linguistics والسيرة الذاتية biography والفلسفة وعلم الاجتماع والسياسة والعلوم وغيرها الكثير.

كانت مادة الكلاسيكيات هي أقرب فرع لدراسة الإنجليزية في القرن التاسع عشر على الرغم من الفرق الواضح بينهما، لاهتمام الأولى بدراسة المسرح والشعر والنصوص الإغريقية والرومانية القديمة التي استلهم منها المجتمع البريطاني الكثير، لذلك كانت دراسة تلك الكلاسيكيات هي المحك الأساسي للحكم على الرجل أنه متعلم أم لا (وأتعمد هنا الإشارة للرجل لأن النساء لم يكن يسمح لهن بدراستها، فمثلاً تشير ماري ولستونكرافت Mary Wollstonecraft (١٧٥٩–١٧٩٧م) و هي من أوائل الداعيات للتسوية بين الجنسين في كتابها "إعلان حقوق المرأة" A Vindication of the Rights of Woman(١٧٩٢) إلى أن إعطاء حق دراسة هذه الكلاسيكيات للنساء هو من مظاهر مساواتهن بالرجل) ويعتقد معظم الناس أن دراسة الأدب الإنجليزي كان في أحسن أحواله مجرد تقليد للكلاسيكيات وفي أسواها انحراف طفيف عن تلك الكلاسيكيات الأمر الذي جعلها غير جديرة بالدراسة مقارنة بتلك الكلاسيكيات، فاعتبر الأكاديميون دراسة الأدب الإنجليزي –إن وجدت– ملائمة للعقول الأقل حصافة من الدرجة الثانية أو الثالثة مشتملة على النساء و في عام ١٨٨٧م ظهر كتيب بعنوان "دراسة اللغات والآداب الأوروبية الحديثة في جامعة أكسفورد" The Study of Modern European Languages and Literatures in the University of Oxford لأستاذ الكلاسيكيات

بها هنري نيتلشب Henry Nettleship (١٨٣٩ — ١٨٩٣م) وهو يقلل من شأن دراسة الأدب الإنجليزي التي لا ترقى لدراسة الكلاسيكيات وعدَّها -أي دراسة الأدب الإنجليزي- مجرد آراء غامضة وفن مصطنع. لذلك كانت دراسة الإنجليزية كلغة وليس كأدب هي الأمر المسموح به فقط، فلو وجدت مادة الإنجليزية فذلك يعني الدراسة العلمية والتاريخية لتطور اللغة الإنجليزية من جذورها الأولى حتى يومنا هذا، وإن لم يتم دراستها من ذلك الجانب فهي جسد بلا روح أو مجرد شبح ينقشع عند نور الفجر كما يقول نيتلشب. وفي حين كانت دراسة الأدب الإنجليزي مرفوضة في بريطانيا ولا يرى لها أساتذة الكلاسيكيات جدوى، كان الإقبال على دراسته على أشده في أماكن كثيرة من العالم.

الإنجليزية والوجود البريطاني في الهند
English and the British in India

حكم البريطانيون الهند خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر عن طريق شركة كانت تسمى شركة الهند الشرقية والتي عملت هناك بموجب ميثاق Charter أو عقد للتجارة واستغلال هذا الإقليم بينها وبين البرلمان بحيث يجدد هذا العقد كل عشرين عاماً، وفي عام ١٨١٣م جدد البرلمان ذلك الميثاق مع بعض التعديلات التي تفيد بزيادة مسؤولية شركة الهند الشرقية عن التعليم في الهند ودعمها لنشاط الإرساليات المسيحية هناك، بحيث تضطلع الشركة بدور في تنصير الهنود اعتقاداً من المسؤولين بأن الهنود المسيحيين سيكونون أكثر أمانةً وجديةً في العمل وأنهم سيدعموا بذلك النشاط الاستعماري للشركة، كما اعتقدوا بأن دراسة الإنجيل وتعاليم المسيحية ستجعل الناس أكثر "أخلاقية" بمعنى " أنهم أكثر توافقاً مع

مبادئ الشركة". وعلى العكس من ذلك فقد اعتقد الكثيرون في لندن أن إقناع شخص بالتنصير أمر محاط بالمخاطرة (ربما لأن تنصير شخص يتضمن توجيه العديد من الأسئلة إليه والتي يفترض أن تقوم النصرانية بالرد عليها، فآخر ما تريده بريطانيا وشركة الهند الشرقية أن يقوم أي شخص بتوجيه أي أسئلة عن أي شيء حتى لا يقوم هؤلاء الأفراد بالتساؤل عن ماهية النظام الحاكم) مما جعل شركة الهند الشرقية تبتكر طريقة أخرى للتأكد من أن سكان الهند الأصليين سيحرصون على اتباع النمط الإنجليزي في المعيشة حتى يكونوا على الأقل خادمين مطيعين للشركة. لذا وجهت الشركة نظرها للأدب الإنجليزي على أنه مزيج من الطريقة الإنجليزية في الحياة والأخلاق والذوق في عمل أي شيء، فكان السؤال الطبيعي هو: "لماذا لا نُعلِّم الهنود أن يكونوا على الطراز الإنجليزي أكثر وأكثر بتدريسهم الأدب الإنجليزي؟" من ثم كانت دراسة الأدب الإنجليزي محض إسلوب لجعل السكان الأصليين في الهند أكثر تحضراً. وبحلول عام ١٩٣٥م تحول هذا الاتجاه إلى قانون صادر عن نظام التعليم الإنجليزي الذي جعل اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية للتعليم في الهند مما استوجب دراسة الأدب الإنجليزي بالتبعية.

بعدها قام الإنجليز بتكوين فكرة المدرسة و النظام الأكاديمي المسمى بمادة الإنجليزية في الهند والتي تعهدت الروايات والمسرحيات والأشعار الإنجليزية بالتحليل و الدراسة قراءةً وكتابة، مما يفسر السبب الرئيس لتسمية المادة "الإنجليزية" وليس "الأدب" كما هو الحال في كثير من الدول الأخرى. أي أن فكرة دراسة الأدب الإنجليزي كعامل تحضر ظلت سائدة مما كان له الأثر الأكبر في عودة الإنجليزية كمادة دراسية إلى بريطانيا.

الإنجليزية في بريطانيا
English in Britain

كادت الصراعات الداخلية أثناء القرن التاسع عشر أن تمزق بريطانيا إرباً حيث أدى التضخم السكاني والثورة الصناعية إلى نمو العديد من المدن التي يسكنها العمال الفقراء، وكانت نظرة أصحاب السلطة لهم على أنهم "عديمي التحضر" يجتاحون بريطانيا وأن هناك ثورة أو فوضى عارمة وشيكة، لذلك آثروا تعليم "البريطانيين عديمي التحضر" بقيم "الحضارة الإنجليزية" آملين بذلك المحافظة على الوضع الاجتماعي والسياسي آنذاك. ورغم إصرار كثير من المفكرين والإصلاحيين على أن التعليم هو غاية في حد ذاته، إلا أن إخماد الثورات كان بالتأكيد هو الجوهر في العملية التعليمية، وبما أن اللاتينية أو الإغريقية هي أرقى أشكال الحضارة، لذا لم يكن متوقعاً أن تصل تلك الدراسات لقاطني المناطق الفقيرة في بريطانيا في القرن التاسع عشر، فما كان من المسؤلين إلا اللجوء لتدريس الروايات والمسرحيات والأشعار المكتوبة بالإنجليزية و التي عُدَّت أقل رقياً من اللاتينية أو الإغريقية. وهكذا عادت دراسة الأدب الإنجليزي إلى بريطانيا "لإعادة الحضارة للطبقات غير المثقفة من سكان بريطانيا الأصليين".

يعد المشرف التربوي والشاعر والمفكر ماثيو أرنولد Matthew Arnold (١٨٢٢–١٨٨٨م) من أبرز هؤلاء المفكرين الذين أعادوا دراسة الإنجليزية إلى بريطانيا، حيث يذكر في كتابه المشهور "الثقافة والفوضى" Culture and Anarchy (١٨٦٩م) أن الثقافة –وهو يقصد بها الثقافة الأدبية بالأساس– ستجعل كل البشر يعيشون في جو من الهناءة والنور. قد تنظر إلى ذلك على أنه أمر بسيط، لكن في ذلك الوقت كانت كثير من الآمال العريضة والأنظار الطامحة تتعلق بالأدب

الإنجليزي. و على الرغم من عدم وجود مادة رسمية يمكن أن يطلق عليها الإنجليزية، إلا أن دراسة اللغة كانت تتم بشكل غير رسمي، حيث كانت جزءاً من منهج التاريخ وتدرس في مدارس تابعة للجامعات القومية والمجلس الوطني لتعليم الكبار ونقابة العمال التعليمية.

بنهاية القرن الثامن عشر اختفت مادة الإنجليزية كدراسة للأدب من الجامعات ومن أي شكل نظامي رسمي تعليمي، اللهم إلا كجزء من مادة عامة تدرس في المدارس ومقررات تعليم الكبار. لكن الملاحظ هو أن تدريس الأدب الإنجليزي قد بدأ يحظى باهتمام الكثيرين، فمن ناحية يرى المؤيدون أن تدريس الأدب الإنجليزي قد غرس القيم والأخلاق الحضارية لدى المتعلمين، حيث أصر جون تشيرتون كوليتر John Churton Collins (١٨٤٨–١٩٠٨م) –وهو من أشد المؤيدين لذلك الرأي– في كتابه "دراسة الأدب الإنجليزي" The Study of English Literature (١٨٩١م) على أن التعليم –خاصة الجامعي– مناط به مسؤوليات وواجبات جديدة لتعليم الشعب بجميع فئاته، وليس الأغنياء فقط، كما دعم فكرة تدريس الأدب وتفسيره لكل الطلاب على اختلاف مشاربهم. أي أن دراسة الأدب بالنسبة لكوليتر كانت تعليماً أخلاقياً وجمالياً ذا تأثير إيجابي صحي على الذوق والشعور والرأي والشخصية.

من ناحية أخرى، رأى المعارضون من أمثال هنري نيتلشب أن دراسة الأدب الإنجليزي ليست بذاك الشأن الرفيع و عدوها ملائمة لتسلية العقول الأقل تحضراً والتي تناسبها الدراسة التاريخية لتطور اللغة الإنجليزية. وقد نُشِر كتيب نيتلشب "دراسة اللغات والآداب الأوروبية الحديثة في جامعة أكسفورد" (انظر صفحة ١٣) قبل كتاب كوليتر بأربع سنوات وبذلك أصبح جزءاً أساسياً من هذه الجدلية.

وعموماً، لقد انتصرت النظرة الداعية لدراسة الإنجليزية كلغة فقط عندما قدمت أكسفورد –وهي الجامعة التابع لها نيتلشب– أول مقرر للحصول على درجة علمية في اللغة الإنجليزية عام ١٨٩٣م والذي تضمن دراسة موضوعات مثل اللغة الجرمانية الإنجليزية القديمة وتاريخ اللغة، لذا لم يكن للشعر مساحة إلا كمصدر للأمثلة التطبيقية فقط، أما الروايات فقد اعتُبرت غير جديرة بالدراسة. ومن الجدير بالذكر أن معظم من درس ذلك المقرر كنَّ من النساء مما دعم الاتجاه القائم على التقليل من شأن المرأة آنذاك والقائل بأن الإنجليزية لا تناسب إلا العقول الأقل تحضراً و الغير قادرة على دراسة الأعمال العظيمة للحضارة الكلاسيكية.

وظل الحال كما هو عليه كذلك فترة وجيزة وكان المقصود بدراسة الإنجليزية فيها دراسة تاريخ اللغة فقط. لكن حدثين هامين كان لهما الفضل في تغيير هذا الموقف و ساعدا على ظهور ما نعرفه الآن بمادة الإنجليزية: أولهما تدريس مقرر للحصول على شهادة إنجليزية من جامعة كامبردج وثانيهما تقرير نيوبولت Newbolt الحكومي.

كيف نشأت مادة الإنجليزية بمفهومها الحديث؟

How Modern English Began?

في عام ١٩١٧م وأثناء مذابح الحرب العالمية الأولى، اجتمع فريق من المحاضرين بجامعة كامبردج للتخطيط ولتقديم تحديدات جذرية في مقرر الشهادة الإنجليزية بجامعتهم (وانصب الاهتمام بالأخص على الجانب اللغوي) وكان هدف ذلك الفريق –والذي كان من أهم أفراده الناقدان الشهيران إ. إم. و. تليارد E. M. W. Tillyard (١٨٨٩–١٩٦٢م) و آي. أ. ريتشاردز I. A. Richards (١٨٩٦–١٩٧٩م)– هو إيجاد مادة تدرس الأدب بالإنجليزية كمادة مستقلة وليس مجرد

استخدام الأدب كمصدر لأمثلة توضح كيفية استخدام الإنجليزية في عصر شكسبير مثلاً، أو كمجرد تقليد للأعمال الإغريقية والرومانية القديمة. تعد تلك العقول المفكرة بحق وريثة أفكار أرنولد وكوليتز باعتقادهم أن دراسة الأدب سوف تعلي من شأن الإنسان مرة أخرى بعد أن هدد وجوده النمو المتزايد للتكنولوجيا في عصر الآلة، واستشهدوا بالحرب الدائرة كمثال على ذلك، الأمر الذي جعل لهذا المقرر الذي أعدوه والطريقة التي دُرِّس بها عظيم الأثر في تطبيق هذه الأيديولوجيات.

وبعد عامين أصدرت الحكومة تقريراً يهدف إلى مراجعة طرق تدريس الإنجليزية في إنجلترا وتقديم مقترحات لتطوير الوضع آنذاك. ولقد أعطى تقرير نيوبولت Newbolt –والذي انتهى إعداده عام ١٩٢١م وسُمِيَ بذلك تيمناً بالشاعر السير هنري نيوبولت Henry Newbolt (١٨٦٢–١٩٣٨م) الذي ترأس لجنة كتابة هذا التقرير الحكومي– أساساً لهذا الاتجاه نحو "الإنجليزية الجديدة" جاء فيه: "إن الأدب ليس مجرد مادة أكاديمية للدارسة فحسب لكنه من أبرز المعابد الأساسية للروح الإنسانية و التي يجب أن يتعبد فيها الجميع".

ووفقاً لنموذج تدريس الإنجليزية في الهند –حسبما جاء في التقرير– فإن مدرس الأدب ليس كغيره من المدرسين لكنه واعظ ديني، ولقد اعتبر التقرير دراسة الأدب لذاته واجب ديني، ومن ثم كان الأدب ديناً (مما يبرر المجاز السابق). ومثلما كان تدريس الإنجليزية في الهند بديلاً عن إرساليات النصرانية الحكومية، فإن تدريس الإنجليزية في بريطانيا كان في جانب منه بديلاً للقيم والمثل التي اعتادوا تدريسها في المواد الدراسية الدينية في بريطانيا. وبهذا يعد تقرير نيوبولت الانتصار الساحق على القائلين بأن مادة الإنجليزية يجب أن تبقى مجرد دراسة لتاريخ اللغة مما ساعد على

سرعة نمو الإنجليزية كنظام دراسي، ولعب دوره المهم في جعل هذا الشكل الجديد من الإنجليزية مقبولاً، كما وضع الإطار العام للمادة كما نعرفها اليوم.

على الرغم من وجود كثير من الشخصيات البارزة التي لعبت دورها في تطوير مادة الإنجليزية بما فيهم الشاعر والناقد ت. س. إليوت T. S. Eliot (١٨٨٨–١٩٦٥م) إلا أن الناقد الأدبي بجامعة كامبردج ف. ر. ليفيز F. R. Leavis (١٨٩٥–١٩٧٨م) كان له دوراً أكثر أهمية في إرساء دعائم ما سُمِّي "بالإنجليزية الجديدة" حيث عمد هو وزوجته ك. د. ليفيز Q. D. Leavis (١٩٠٦–١٩٨١م) إلى تسجيل التغييرات الطارئة على الإنجليزية وتشكيل ما نرى أنه المقرر الدراسي المنظم للغة الإنجليزية؛ فهما من أوائل خريجي جامعة كامبردج على هذا النظام الجديد وكان لهما العديد من الآراء المشتركة في وضع الثقافة الحديثة ودور الإنجليزية فيها، كما اعتقدا أن العالم في طريقه نحو الأسوأ لأن التكنولوجيا والصناعة كانت تدمر الإنسانية و قيمها وكان الدين يحتضر والمجتمعات تنهار، لذلك شعرا أن العالم الحديث قد أحال كل ما هو ثمين ويتعلق بالمشاعر الفياضة إلى مجرد أكلاشيهات clichés [1] شائعة مبتذلة. فما كان منهما إلا أن تمسكا في كثير من دراساتهم البارزة مثل "حضارة الأكثرية وثقافة الأقلية" Mass Civilisation and Minority Culture (١٩٣٣م) بأهمية الأدب قائلين بأن دراسة الأدب وحدها هي القادرة على ترسيخ القيم الإنسانية المهمة في عقولنا. وتجدر الإشارة هنا إلى أعمال ف. ر. ليفيز مثل كتاب "الاتجاهات الجديدة في الشعر الإنجليزي"New Bearings in English Literature (١٩٣٢م) وكتاب "إعادة التقييم" Revaluation الذي يعيد النظر في الشعر الإنجليزي (١٩٣٦م) وكتاب "الإرث العظيم" The Great Tradition (١٩٤٨م) وهو خاص بالرواية والتي

(١) هي عبارات تكرر استخدامها و عفى عليها الزمن.

تعد في مجملها علامات بارزة كان لها الأثر الكبير في تناول الناس وفهمهم للأدب الإنجليزي في القرن العشرين.

لقد كرَّس ليفيز وزوجته كثيراً من جهودهما لتأسيس دراسة الإنجليزية بطريقة تعكس أفكارهما مما جعلهما من الشخصيات الرائدة في فريق البارزين الذين شاركوهما أفكارهما التي وجدت طريقها للنور من خلال مجلةً شهريةً تسمى "الدراسة الشاملة" Scrutiny والتي استمر صدورها من عام ١٩٣٢-١٩٥٣م. لقد كانا مدرسَين للمدرسين وليس مجرد مدرسين متحمسين، فتركا إرثاً عظيماً للأجيال الشابة التي أصبح منها المدرسون في المدارس والممتحنون والصحفيون وغيرهم، لذا يسهل عليك الآن تتبع "شجرة العائلة" لمدرسي الإنجليزية والتي تعود أصولها إلى أسرة ليفيز أو مَنْ تأثروا بهما بشكل مباشر.

طريقة ليفيز
The 'Leavis Method'

من أحد الإنجازات الأساسية لليفيز وزوجته تبنيهما منهجاً خاصاً بهما في دراسة الأدب سُمِّي "مدرسة ليفيز"، وقد عمِدا إلى توضيحه في أعمالهما النقدية. وتلخص النقاط التالية الأفكار الأساسية لهذا المنهج:

- لدراسة الأدب الإنجليزي رسالة أو مهمة حضارية تعلي من شأن الإنسانية وتقدم القيم التي صعب الحصول عليها في العالم الحديث.
- الهدف من النقد هو تقديم "تقييم" ثابت وموضوعي للنص الأدبي مما يعني أن الآراء الشخصية والأهواء لا تُعَد نقداً. فيمكنك القول: "إن المسرحية يشوبها الأخطاء لأن..." أو "هذه الشخصية لها أثر كبير لأن..." بدلاً من قولك: "إني لا

أحب هذا" أو "أنا أحب هذه الشخصية". فاستخدام القارئ لضمير الغائب (هو / هي) بدلاً من ضمير المتكلم (أنا) يوحي بمزيد من الموضوعية.

• في الوقت نفسه لابد للقارئ أن يوضح رد فعله الفردي وأحاسيسه الطبيعية نحو النص الأدبي الذي يقرأه، فقراءة الأدب لابد أن تثير في القارئ شيئاً ما، والإنجليزية كمادة دراسية يمكنها أن تعزز من هذا الإحساس.

• يعد النقد العملي practical criticism أكثر الطرق فعالية لدراسة الأدب، لما يتضمنه هذا الشكل من القراءة والتي تسمى أحياناً بالقراءة المتعمقة close reading من دراسة تفصيلية للعمل الأدبي –نثراً كان أم شعراً– بالتركيز على كلماته بغض النظر عن السياق الخارجي للنص ككل، الأمر الذي يجعلها قراءة علمية موضوعية للأدب.

• هناك قائمة ثابتة معترف بها بالأعمال الأدبية المرجعية The canon التي يجب أن يدرسها ويعجب بها كل فرد وتشتمل على أعمال جيوفري تشوسر Geoffrey Chaucer ووليام شكسبير William Shakespeare وجين أوستن Jane Austen وجورج إليوت George Eliot وهنري جيمس Henry James.

• تحرر النص الأدبي من قيود التاريخ والزمن مما يجعل قيمته الفنية نابعةً من العمل ذاته، فدراسة النص تنصب على أدبيته فقط لأننا لا نقرأ النص لأنه يخبرنا مثلاً عن أحداث تاريخية بعينها أو عن قصة حياة مؤلف العمل.

كثير من أفكار ليفيز استمرت في تشكيل دراسة الأدب في المدارس والكليات والجامعات، ويمكن أن تكون أنت أيضاً –أيها القارئ– أحد الداعمين لتلك الأفكار دون معرفة مصدرها. سيطرت تلك الطريقة الجديدة في دراسة الإنجليزية لسنوات طويلة حتى اعتقد كثير من الناس أن دراستك للإنجليزية لا تخرج

عن الأهداف التي وضعها ليفيز وأنك محكوم بمنهجه. ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فسرعان ما واجهت طريقة ليفيز تحديات كثيرة نعرض أسبابها ومصدرها وكيف أدت لتغيير الإنجليزية كمادة دراسية في الفصول التالية.

ملخص

Summary

- تتكون المواد الدراسية وفقاً لنظرتنا للعالم مما يعني قابليتها للتغيير –أو وجودها أصلاً مثلما حدث في ظهور مادة الإنجليزية– بتغير رؤيتنا للعالم.
- نشأ تدريس الأدب الإنجليزي كطريقة لتدريس الحضارة والقيم الإنجليزية في الهند إبان الاستعمار البريطاني أوائل القرن التاسع عشر، ثم طُبِّقَت تلك الفكرة فيما بعد على العمال في بريطانيا فترة الثورة الصناعية.
- تناولت المقررات الإنجليزية الأولى في بريطانيا دراسة تاريخ اللغة فقط لعدم وجود مقرر مستقل بذاته لدراسة الأدب.
- اعتقد الكثيرون أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى أن دراسة الأدب ستعلي من الجانب الإنساني في العالم، ففي عام ١٩١٧ قام فريق من الأكاديميين بكامبردج بتغيير مقررهم الدراسي وقدموا دراسة الأدب كمادة دراسية مستقلة بذاتها، ثم دعم تقرير نيوبولت الحكومي هذا الاتجاه نحو الإنجليزية الجديدة فانتشرت في جميع أنحاء البلاد.
- قاد ف. ر. ليفيز وزوجته ك. د. ليفيز –وهما من أوائل الخريجين وفق هذا النظام الجديد بكامبردج– مسيرة تطوير الإنجليزية كما نعرفها الآن، فتعد أفكارهما محور الارتكاز لدراسة الأدب وتدريسه من خلال النظر إليه على أنه رسالة حضارية وحكم موضوعي ورد فعل شخصي ونقد عملي وقيمة فنية ذاتية في العمل الأدبي.